

فتح شعب إسرائيل لأرض الموعد

هل يختلف عن أي فتح ديني آخر؟

الكاتب

باسم أدرنلي

باحث ومعلم للكتاب المقدس وخلفياته الحضارية، ومدافع عن الإيمان المسيحي

نشر الكنيسة المفتوحة – ٢٠١١

وهي سلسلة من المقالات التي نشرت على موقع linga.org

فتح شعب إسرائيل لأرض الموعد

الفصل الأول مبادئ هامة

إن كيفية دخول شعب إسرائيل لأرض كنعان، التي يسميها الكتاب أرض الموعد، تثير الكثير من التساؤلات للقارئ. خاصة في بعض الحالات، مثل الدخول إلى أريحا، التي قام فيها شعب الرب بإراقة دماء جميع السكان، ومن ضمنهم النساء والأطفال (يشوع ٦: ٢١)؛ وهذا يواجهنا أمام أسئلة هامة وصعبة:

كيف يسمح الله لشعبه بدخول واحتلال أرض لشعب آخر؟
وكيف يسمح الله لشعبه بأن يقتل إناس أبرياء، مثل النساء والأطفال؟

سوف لا نتمكن من الإجابة على تلك التساؤلات في هذا الفصل، لكن سنقدم إجابة في مستهل الكتاب بنعمة الله. في هذا الفصل، سنتناول بعض المفاتيح الهامة التي تساعدنا على فهم تعاملات الله مع الشعوب؛ ووضع تلك الأحداث بسياقها التاريخي واللاهوتي من جهة خطة ملكوت الله. إن أهم مفتاح لفهم قضية دخول شعب إسرائيل إلى أرض كنعان، مع جميع حيثياته وحروبه الدموية، هو اعتباره كجزء ثالث من عملية تمخض وولادة عسرة لشعب الرب؛ وذلك لإتمام خطة الله بعدما أنزل الشريعة على موسى. وحدث هذا من خلال استعلان دينونة الله القاسية على شعب مصر؛ وعلى شعب إسرائيل في البرية؛ ومن ثم على شعوب أرض كنعان. والثلاث مراحل هذه هي كما يلي:

المرحلة الأولى: استعلان دينونة الله على شعب مصر.
المرحلة الثانية: تنقية الله لشعبه، والتي شملت دينونة قاسية له في البرية.
المرحلة الثالثة: استعلان دينونة الله لشعوب كنعان.

إن عملية دخول شعب إسرائيل لأرض كنعان هي المرحلة الثالثة من عملية ولادة شعب الرب، ويجب النظر إليها كالجُزء الثالث من هذه العملية، وليس كجزئية قائمة بذاتها من العدم.

إن الله، في المرحلة الأولى، تعامل بيد دينونة قاسية جدًا على الشعب المصري في مصر. ومات كنتيجة لهذا، جميع أبنائهم من البشر والبهايم؛ بالإضافة إلى الآلاف من الناس الذين ماتوا كنتيجة للضربات العشر كالوبأ وغيره. وبعدها، في الجزئية الثانية، أظهرت يد دينونة الله القاسية لشعب إسرائيل في البرية بسبب تمردهم وخطاياهم؛ وفيما يلي لمحة عنها:

في خروج ٣٢: ١٠، أراد الله أن يبيد كل شعب إسرائيل ويعيد بناء أمة جديدة، فقط من نسل موسى، بسبب صنعم وعبادتهم للعجل الذهبي. بعدها قام اللاويون بإجراء قضاء الله للشعب، فقتل في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. ولم يكتفي بهذا الرب لكنه قرر أن يعاقب شعبه في الوقت المحدد (خروج ٣٢: ٢٧-٢٨)؛ فضرب الشعب بوباء ولم يعرف عدد الذين ماتوا (٣٣-٣٥). وذات يوم نزلت نار من قبل الرب على إبنائهم هارون، ناداب وأبيهو بسبب تقديمهم لنار غريبة على مذبح المسكن (لاويين ١٠: ١-٢). وتارة عندما تدمر الشعب، خرجت نار من الله عليهم والتهمتهم، ولم يذكر عدد الذين ماتوا (العدد ١١: ١). وعندما تدمر الشعب على موسى وأرادوا تنصيب ملكًا عليهم ليرجعهم إلى أرض مصر، أوشك الله أن يصيبهم بمرض عظيم ليبيدهم (العدد ١٤: ١-١٢)، فقرر الله أن لا يدخل هذا الشعب إلى أرض كنعان (٢٠-٢٣) والعدد ٣٢: ١٠-١٥ وتثنية ١: ٣٤-٤٠)، بل أمات جيل كامل من اليهود في البرية عقابًا لهم (٢٨-٣٠ و ٣٣-٣٤)؛ جدير بالذكر هنا أننا نتكلم عن ست مئة ألف رجل، غير النساء من ذلك الجيل (العدد ١١: ٢١). أيضًا لقد أمات الرب بالوبأ جميع الذين أشاعوا المذمة الرديئة عن الأرض التي أراد الله أن يدخلهم إليها (عدد ١٤: ٣٧). وعندما تمردت جماعة من الشعب على موسى: قورح بن يصهار ودathan وأبيرام وألياب وأون بن فالت من بني رآوبين، مع مئة وخمسين رجلاً

(العدد ١٦)، شق الله الأرض وابتلعت هؤلاء مع عائلاتهم وكل ما كان لهم؛ وبعدها خرجت نار من الرب والتهمت ٢٥٠ رجل ادعوا انهم من الكهنة (٣١-٣٣). بعدها أرسل الله وباء على الشعب بسبب التمرد، ووصل عدد الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفاً وسبع مئة (العدد ٤٩). وبعدها تدمر الشعب على موسى وعلى الله مرة أخرى، على الطعام "السخيف" الذي أعده لهم، فأرسل الله حيات سامة إلى الشعب ومات كثيرون من بين إسرائيل (العدد ٢١: ٤-٥). وعندما أتى الشعب إلى شطيم، بدأ الشعب يزني مع النساء الموابيات، وعبدوا آلهتهم، فأرسل الله وباء لبني إسرائيل، فمات في ذلك اليوم أربعة وعشرين ألفاً (العدد ٢٦: ١-٩).

والآن على ضوء الضربات القاسية التي أنزلها الله في أرض مصر، وأيضاً الدينونة القاسية التي أجراها الله لشعبه في البرية؛ سنرى أن ما فعله الله بشعوب أرض كنعان لم يكن أكثر صعوبة منهما. لكن جيد أن نستعرض الأسباب التي دفعت الله لإجراء دينونته على الشعوب في أرض كنعان.

إن أول مرة أعلن فيها الله عن عزمه لإدانة شعب الأرض كان على زمن إبراهيم، فقال له:

" ١٣ فَقَالَ لِأَبْرَامَ: «أَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ (أي أرض مصر) وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ فَيُذَلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَّةِ سَنَةٍ. ١٤ ثُمَّ الْأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أُدِيئُهَا.... ١٦ وَفِي الْحَيْلِ الرَّابِعِ يَرْجِعُونَ إِلَى هَهُنَا لِأَنَّ ذَنْبَ الْأُمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الْآنَ كَامِلًا " تكوين ١٥.

منذ وقت إبراهيم والله يريد أن يدين سكان أرض كنعان، الذين دعوا في ذلك الوقت أموريين، لكن وقت دينونتهم لم يكن مكتمل بعد؛ لأن ذنبهم لم يصل إلى الحد الذي يتطلب تدخل الله. وجدير بالذكر أن دخول يشوع للأرض كان بعدها بحوالي ست مئة عام. أي أن الله صبر على سكان كنعان، على الأقل ست مئة عام ليتوبوا، لكن كما يبدو بلا جدوى.

وفيما يلي لمحة عن بعض الخطايا التي كانوا يمارسوها:

من جهة الممارسات الشيطانية:

وهي تسع ممارسات موجودة في تثنية ١٨ : ٩-١٤ :

(١) تقديم الأولاد الصغار كذبائح للآلهات. (٢) العرافة، وهي قراءة البخت أو المستقبل بطرق عديدة. (٣) العيافة، وهي التنجيم والأبراج. (٤) التفاضل، وهو صنع الأحجبة بهدف الحصول على امتيازات. (٥) السحر، وهو الناس الذين يمارسون قوة خارقة شيطانية. (٦) الرقية، وهو السيطرة على الآخرين بقوة شيطانية. (٧) سأل الجان، وهم الذين يتواصلون مع الشياطين لمساعدتهم. (٨) التابعة، وهو اللجوء إلى وسيط ليتحدث مع أرواح الموتى. (٩) الذين يمارسون تحضير أرواح موتى.

طبعًا كان الكنعانيون يعبدون الكثير من الآلهات الوثنية، لكن أبرزها الإله بعل، كأعظم إله ذكري، والآلهة عشتاروث، كأبرز آلهة أنثوية. وكانت عبادتهم مرتبطة بالزنى وتقديم الذبائح البشرية، فعشتاروث هي آلهة الإخصاب؛ وكان في معبدها حجرات خاصة لممارسة الزنى كجزء من الشعائر لعبادتها.

أما من جهة الزنى:

وهو ممارسات رجسة كثيرة نراها في لاويين ١٨ :

زنا الرجل مع: الأم؛ زوجة الأب؛ الأخت؛ ونصف الأخت التي هي من الأم فقط أو من الأب؛ الحفيدة؛ العممة؛ الخالة؛ زوجة العم؛ الكنة؛ ابنة زوجة الأخ؛ امرأة وابنتها معًا؛ حفيدة الزوجة؛ أخت الزوجة؛ زوجة الجار؛ الحيوانات؛ بالإضافة إلى زنى الرجال مع الرجال (المثلية). وكل ما سبق ينطبق على النساء أيضًا، لكن بالعكس.

ويقول الرب لموسى في نفس الأصحاح بعد تلك الآيات مباشرة:

" ٢٤ يَكُلُّ هَذِهِ لَا تَنْجَسُوا لِأَنَّهُ يَكُلُّ هَذِهِ قَدْ تَنَجَّسَ الشُّعُوبُ الَّذِينَ أَنَا طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ... ٢٧ لِأَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الرَّجَاسَاتِ قَدْ عَمَلَهَا أَهْلُ الْأَرْضِ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ فَتَنَجَّسَتِ الْأَرْضُ. ٢٨ فَلَا تَقْذِفُكُمُ الْأَرْضُ بِتَنَجِّيسِكُمْ إِيَّاهَا كَمَا قَدَفَتِ الشُّعُوبُ الَّتِي قَبْلَكُمْ (أي أن الله عادل، وليس عنده محاباه، وإذا فعل شعبه نفس رجاسات الأمم، سيُطردوا من الأرض مثلهم)."

إذا لم تكن يد الله حازمة فقط على الشعب في أرض كنعان، بل ابتدأت على فرعون وشعبه، واستمرت على شعب إسرائيل في البرية، لتنقيتهم وتقديسهم ليكونوا شهادة للأمم؛ واستعلان مجد إله إبراهيم أمام آلهة المصريين وآلهة كنعان. وبعدها قام الله، بعدما قدس شعبه، باستخدامه كأداة لدينونة الشعوب الساكنة في أرض كنعان. سنرى بنعمة الرب، من خلال هذه السلسلة، أن الله إله عادل؛ وليست عنده محاباة؛ ويتعامل مع جميع الشعوب بنفس المبادئ والمعايير من حيث القضاء والرحمة. وله خطة كاملة وصالحة لأجل جميع الشعوب لأنه يحبهم جميعاً.

الفصل الثاني الله على رأس العملية

كما رأينا في المقال السابق، قد قام الله بدينونة المصريين وآلهتهم؛ ورأينا أيضاً كيف نقى الله شعبه في البرية، مما شمل الكثير من الضربات الصعبة، قبل إطلاقهم للدخول لأرض كنعان. لكن الصعب في المرحلة الثالثة (وهي إدانة شعوب كنعان التي تكلمنا عنها سابقاً)، هو أن الله في هذه المرة سيستخدم شعبه لدينونتهم، الذي بحسب ما نراه في الكثير من النصوص، ليس أفضل بكثير من شعوب كنعان !!

ويجد إنسان القرن الواحد والعشرين صراعاً من جهة تقبُّل الحروب التي إقيمت بإسم الله على مر العصور:
فيعرض الكثير من المسلمون مثلاً على رفض المسيحيون لفكرة الفتوحات الإسلامية، في الوقت الذي يُشرِّعون فيه فتح شعب إسرائيل لأرض كنعان في القديم !! وهم لا يرون أي فرق بينهما !!
وينتقد الكثير من الملحدون جميع الديانات، مُدَّعين بأن جميع هذه الحروب هي دلالة على أن الديانات، بكافة أنواعها، هي من أهم أسباب المصائب والحروب في العالم؟

(متناسين طبعًا أبرز ثلاثة قادة مُلحددين في القرن العشرين: الروسي: ستالين؛ والألماني: هتلر؛ والصيني: مايو، الذين كانوا مسؤولين عن قتل أكثر من مئة مليون إنسان؛ أي أنهم قتلوا أكثر بكثير من جميع الحروب مجتمعة معًا على مدار ١٩ قرن قبلهم، سواء كانت دينية أم لا).

لكن لماذا لم يبادر الله بدينونة شعوب كنعان بنفسه، كما دان المصريين وشعبه في البرية، بدل أن يستخدم شعب إسرائيل؟

فلو أدان الله شعوب كنعان بنفسه، لكان هذا سيحل المشكلة للمعترضين الذين يؤمنون بوجود الله. مثل الضربات على مصر، لم نسمع قط أحد يعترض عليها، لأن الجميع يعرفون أن الله الذي قد فعلها. إذا القضية المهمة في هذا الجدل هي:

كيف نتأكد أن الله فعلاً هو القائم عليها، وليس البشر بادعاء أن الله أرسلهم؟

سنبرز في هذا الفصل كيف أن دخول شعب إسرائيل لأرض كنعان يختلف عن أي فتوحات أو حروب مقدسة رأيناها على مر العصور. والذي يميّز دخول شعب إسرائيل لأرض كنعان هو أمرين؛ سنركز في هذا المقال فقط على الأمر الأول منهما:

الأول: الله على رأس العملية – أي أنه يُظهر تَحَكُّمَهُ بوضوح في هذه العملية وليس شعب إسرائيل.
والثانية: الله يحاسب شعبه مباشرةً إذا أخطأوا.

الأول: الله يظهر تَحَكُّمَهُ بوضوح في هذه العملية وليس شعب إسرائيل:

إن أعظم الأمور التي تميز دخول شعب إسرائيل إلى أرض كنعان عن جميع الحروب التي شنت باسم الله على مر العصور، هي إظهار الوحي المستمر، مستعرضًا المعجزات التي عملها الله أمام الشعب كله وأمام باقي الشعوب، أن الله هو المتحكم بنفسه بكل صغيرة وكبيرة في هذه العملية. فالله لم يدعو شعبه

لفتح الأرض وبعدها وقف جانبًا هاتفًا على انتصاراتهم؛ ناصراً إياهم على الصبح والخطأ؛ على الحق والباطل دون أن يظهر للشعوب اشتراكه الفعلي في العمل. لكن سنرى بوضوح أنه هو الذي كان يعمل مستخدماً الشعب كأداة في يده، داعياً إياه باستمرار ليكون معه، وليس العكس؛ ومحاسباً ومعاقباً له إذا أخطأ.

فيما يلي لمحة عن العناصر التي تبرز حقيقة أن الله هو القائد والعامل، وليس الشعب:

١- الله الذي اختار يشوع:

الله اختار موسى وأيد اختياره له بمعجزات؛ بعدها اختار الله يشوع بواسطة موسى، تثنية ٣٤: ٩؛ واختار الله يشوع أيضاً بنفسه، يشوع ١: ١-٢. والله عادةً يؤيد اختياره للقائد بالمعجزات المرئية أمام الشعب؛ وذلك لكي يؤكد للشعب على اختيار القائد، وأن الله هو القائم وراء تلك العملية.

وهنا نحتاج نُعرِّف ما هي المعجزة، بحسب تعليم الكتاب المقدس؟
الله خلق الخليقة المرئية التي نعيش فيها ونراها؛ وخلق فيها ثلاثة أنواع من الخلائق: الخليقة المادية (الجماد)؛ والخليقة البيولوجية (الأحياء والكائنات الحية)؛ والخليقة الأدبية: وهم البشر. لقد وضع الله قوانين مُطلقة لخليقته: قوانين فيزيائية للخليقة المادية؛ وقوانين بيولوجية للكائنات الحية؛ وقوانين أدبية للبشر. نرى في الكتاب المقدس أن الله أحياناً يكسر قوانين خليقته الفيزيائية والبيولوجية، ليتكلم مع الخليقة الأدبية (البشر)؛ وهذا ما نسميه بالمعجزة. فشق البحر وجعل المياه كالحائط عن يمين ويسار الشعب، ليعبروا في بحر سوف، كان كسراً لقوانين الخليقة الفيزيائية. وإقامة ميت، أو شفاء مريض، هي كسر لقوانين الخليقة البيولوجية. لذلك لا يعتبر الكتاب عمل شعري أو أدبي معجزة؛ مهما كان عظيماً؛ ولا يعتبر عمل إبداع معماري معجزة، مهما كان عظيماً. ممكن أن يعتبره البشر من عجائب الدنيا، لكن بحسب العقيدة المسيحية، هو ليس معجزة؛ لأنه لا يوجد فيها كسر لقوانين الخليقة الفيزيائية ولا البيولوجية. جدير بالذكر أيضاً هنا، أن الكتاب يُعلم أن الله لا يمكن أن يكسر قوانينه الأدبية أبداً مهما حدث. لذلك نرى الله في الكتاب المقدس لا يعطي استثناءات إطلاقاً،

لا للأنبياء ولا للقادة، بل للجميع، كباقي الشعب، يضعهم الله تحت القانون. لهذا السبب يوجد صليب في فداء الإنسان، لأن قانون الخليقة الأدبية ينص على أن ثمن الخطية هو موت، فلا يمكن لله أن يكسر قوانينه الأدبية أبداً. هذا ما لا يفهمه الكثير من الناس، خاصة غير المسيحيين.

فنرى من بداية خدمة يشوع، أن الله أيّد اختياره له بالمعجزات. فالمياه توقفت أمام تابوت عهد الرب؛ وعبروا النهر على اليابسة دون أن تمس أقدامهم ماء. هذه كانت علامة بأن الله هو القائد والسائر أمامهم، ٤: ١-٧، وأن الله اختار يشوع ليقود الشعب، لأنه قال له:

" ٧ ... «الْيَوْمَ أَبَدَيْتُ أُعْظَمُكَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ لِيَعْلَمُوا أَنِّي كَمَا كُنْتُ مَعَ مُوسَى أَكُونُ مَعَكَ.» يشوع ٣.

فالله كلم يشوع بنفسه، كباقي الأنبياء (مع أنه لا يعد نبي من الأنبياء)؛ وأعلن له كيف هو مزعم أن يتمجد بواسطته، ويرفع من شأنه، ويؤكد للشعب أنه هو الذي اختاره، ليرأس هذه العملية:

" 9 فَقَالَ يَشُوعُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «تَقَدَّمُوا إِلَيَّ هُنَا وَاسْمَعُوا كَلَامَ الرَّبِّ الْهَيْكَمُ». 10 ثُمَّ قَالَ يَشُوعُ: «بِهَذَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ الْحَيَّ فِي وَسْطِكُمْ، وَطَرْدًا يَطْرُدُ مِنْ أَمَامِكُمْ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْفِرْزِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. 11 هُوَذَا تَابُوتُ عَهْدِ سَيِّدِ كُلِّ الْأَرْضِ عَابِرٌ أَمَامَكُمْ فِي الْأَرْضِ. 12 قَالَ الْآنَ انْتخبُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ لَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ، رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ. 13 وَيَكُونُ حِينَمَا تَسْتَقِرُّ بُطُونُ أَلْقَدَامِ الْكَهَنَةِ حَامِلِي تَابُوتِ الرَّبِّ سَيِّدِ الْأَرْضِ كُلِّهَا فِي مِيَاهِ الْأَرْضِ، أَنْ مِيَاهِ الْأَرْضِ الْمُنْحَدِرَةِ مِنْ فَوْقٍ تَنْفَلِقُ وَتَقِفُ نَدًّا وَاحِدًا». 14 وَلَمَّا ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ خِيَامِهِمْ لِيَعْبُرُوا الْأَرْضَ، وَالْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ الْعَهْدِ أَمَامَ الشَّعْبِ، 15 فَعِنْدَ إِثْيَانَ حَامِلِي التَّابُوتِ إِلَى الْأَرْضِ وَأَنْغَمَّاسَ أَرْجُلِ الْكَهَنَةِ حَامِلِي التَّابُوتِ فِي ضِقَّةِ الْمِيَاهِ - وَالْأَرْضُ مُمْتَلِيَةٌ إِلَى جَمِيعِ شَطُوطِهِ كُلِّ أَيَّامِ الْحِصَادِ 16 وَقَفَّتِ الْمِيَاهُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنْ فَوْقٍ وَقَامَتْ نَدًّا وَاحِدًا بَعِيدًا جِدًّا عَنْ «أَدَامَ» الْمَدِينَةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ صَرْتَانِ، وَالْمُنْحَدِرَةُ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ «بَحْرِ الْمَلْحِ» انْقَطَعَتْ تَمَامًا، وَعَبَرَ الشَّعْبُ مُقَابِلَ أَرِيحَا. 17 فَوَقَفَ الْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ رَاسِخِينَ، وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ عَابِرُونَ عَلَى الْيَابِسَةِ حَتَّى انْتَهَى جَمِيعُ الشَّعْبِ مِنْ عُبُورِ الْأَرْضِ.» يشوع 3.

فإنه جعل النهر ينشق أمام الشعب بقيادة يشوع، (راجع أيضاً يشوع ٤: ١٠-١٣)؛ ويقول الوحي بعد أن حدثت هذه المعجزة على يد يشوع، ما يلي: (استجابة لوعده الرب)

" ١٤ في ذلك اليوم عظم الرب يشوع في أعين جميع إسرائيل، فهأبوه كما هأبوا موسى كل أيام حياته. " يشوع ٤.

إن الله كان دائماً يسير بقوته المعجزية أمام القادة؛ فيشوع لم يكن قائداً ادعى أنه أتى باسم الله والشعب صدقه وأيد خطته السياسية وتبعه بحماس ليفتحوا الأرض. لكن الله بعدما اختاره، أيد ذلك الاختيار بالمعجزة على مرأى جميع الشعب، ليثبت حقيقة اختيار الله له أمام الشعب. من ثم طلب يشوع من الشعب ليضعوا حجارة في أسفل سطح النهر للتذكير بأن الله هو الذي فعل هذا على يده ولم يعظم نفسه، بل أعطه كل المجد لله (يشوع ٤: ٤-٧ و ٢١-٢٤). وهذا كان طبعاً بناءً على طلب الله من الشعب؛ الذي يثبت قيادة الله للشعب من خلال يشوع:

" 8 ففعل بنو إسرائيل كما أمر يشوع، وحملوا اثني عشر حجراً من وسط الأردن كما قال الرب ليشوع، حسب عدد أسباط بني إسرائيل، وعبروها معهم إلى الميبت ووضعوها هناك. " (عدد ٨). طبعاً لم تكن هذه المعجزة الوحيدة، بل صنع الله معجزة أخرى على يد يشوع عظيمة جداً. لقد أوقف يشوع الشمس، في صلاته، في حربهم مع خمسة ملوك أموريين: ملك أورشليم، حبرون، يرموت، لخيش وعجلون (١٠: ١٢-١٤)؛ في ذلك اليوم، يقول الكتاب أن الله حارب عنهم أيضاً، ليدل على أن الله هو الذي يقوم بالعمل وليس الشعب (١٠: ٤٢).

طبعاً الكتاب يشدد أنه بعد موت يشوع، استمر الله في قيادة الشعب واختيار القادة. هو الذي أمر بأن تبدأ يهوذا الحرب (قضاة ١: ٢)؛ وهو الذي اختار عثنييل قاضياً (قضاة ٣: ٩)؛ وهو الذي اختار إهود (قضاة ٣: ١٥)؛ ودبورة (قضاة ٤: ٤)؛ وجدعون (٦: ١٢)... إلخ.

٢- اتبعوا الله (تابوت العهد):

نرى في تعليمات الله التركيز على أن الشعب هو الذي يتبع الله وليس العكس. طلب الله منهم ليتبعوا تابوت عهد الرب الذي يتقدمهم، لكي يعرفوا الطريق.

وهنا نرى أن الله الذي قاد الكهنة، حاملي تابوت عهد الرب، بالإلهام الإلهي إلى أفضل طريق للأرض. هذا بحد ذاته معجزة إلهية، حيث أنهم لم يذهبوا تلك الطريق من قبل:

" 3 وأمرُوا الشَّعْبَ: «عِنْدَمَا تَرُونَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَيْكُمْ وَالْكَهَنَةَ اللَّائِيَيْنَ حَامِلِينَ إِيَّاهُ، فَارْتَحِلُوا مِنْ أَمَاكِنِكُمْ وَسِيرُوا وَرَاءَهُ. 4 وَلَكِنْ يَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَسَافَةٌ نَحْوُ أَلْفِي ذِرَاعٍ بِالْقِيَّاسِ. لَا تَقْرُبُوا مِنْهُ لِكَيْ تَعْرِفُوا الطَّرِيقَ الَّذِي تَسِيرُونَ فِيهِ. لِأَنَّكُمْ لَمْ تَعْبُرُوا هَذَا الطَّرِيقَ مِنْ قَبْلُ». " يشوع ٣.

٣- تقدسوا لإطلاق الله ليعمل:

إصرار الله لجعل الشعب يتقدس قبل أن يقوموا بهذا العمل، مما يؤكد تشديد الله على قداسة الشعب، لكي يستطيع أن يكون أهلاً لاستخدام الرب له في قضاء شعوب كنعان.

" ... تَقَدَّسُوا لِأَنَّ الرَّبَّ يَعْمَلُ غَدًا فِي وَسَطِكُمْ عَجَائِبَ. " يشوع ٣: ٢-٥.
فيها أيضاً نجد التأكيد هنا على أن الله هو الذي سيعمل.

٥- خيموا في الجبال:

وكان هذا في اليوم العاشر من أول شهر (يشوع ٤: ١٩-٢٠)، وفيه تذكير من الله أنهم اليوم موجودون في هذا المكان، لأن الله دحرج عارهم الذي قيدهم في أرض مصر (يشوع ٥: ٩). واليوم العاشر من الشهر الأول، يذكرنا في اليوم الذي فيه أخذوا خروف الفداء في بيوتهم، للتمهيد لفداء الأبقار بدم الخروف؛ وذلك يوم خروجهم من مصر (خروج ١٢: ٣). الذي أمرهم الله أن يُذبحوه في مساء اليوم الرابع عشر (خروج ١٢: ٦). وفي نفس اليوم قام يشوع بختان الشعب كعلامة لتطهير الله لهم ولتذكيرهم بالعهد الذي، إذا نقده، يصبحون تحت دينونة الله كباقي الشعوب:

" 2 فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «اصْنَعْ لِنَفْسِكَ سَكَكِينَ مِنْ صَوَّانٍ، وَعَدُّ فَاخْتُنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَانِيَةً». 3 فَصَنَعَ يَشُوعُ سَكَكِينَ مِنْ صَوَّانٍ وَخَتَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي تَلِّ الْقَلْفِ. 4 وَهَذَا هُوَ سَبَبُ خَتْنِ يَشُوعَ إِيَّاهُمْ: أَنَّ جَمِيعَ الشَّعْبِ الْخَارِجِينَ مِنْ مِصْرَ، الدُّكُورَ، جَمِيعَ رِجَالِ الْحَرْبِ، مَاتُوا فِي الْبَرِّيَّةِ عَلَى الطَّرِيقِ بِخُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ. 5 لِأَنَّ جَمِيعَ الشَّعْبِ الَّذِينَ خَرَجُوا كَانُوا

مَخْنُونِينَ. وَأَمَّا جَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْفَقْرِ عَلَى الطَّرِيقِ بِخُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ فَلَمْ يُخْتَنُوا. 6 لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَارُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْفَقْرِ حَتَّى قَنِي جَمِيعُ الشَّعْبِ رَجَالَ الْحَرْبِ الْخَارِجِينَ مِنْ مِصْرَ، الَّذِينَ لَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِ الرَّبِّ، الَّذِينَ حَلَفَ الرَّبُّ لَهُمْ أَنَّهُ لَا يُرِيهِمُ الْأَرْضَ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لِأَبَائِهِمْ أَنْ يُعْطِينَا إِيَّاهَا، الْأَرْضَ الَّتِي تَفِيضُ لَبْنًا وَعَسَلًا. 7 وَأَمَّا بَنُوهُمْ فَأَقَامَهُمْ مَكَانَهُمْ. فَإِيَّاهُمْ خَتَنَ يَشُوعُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قُلْفَاءَ، إِذْ لَمْ يَخْتَنُوهُمْ فِي الطَّرِيقِ. 8 وَكَانَ بَعْدَمَا انْتَهَى جَمِيعُ الشَّعْبِ مِنَ الْاِخْتِنَانِ أَنَّهُمْ أَقَامُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ فِي الْمَحَلَّةِ حَتَّى بَرُّوا. (يشوع ٥ : ٢-٨).

٦- الاحتفال بالفصح:

أيضاً قبل دخولهم للأرض، احتفل بني إسرائيل بعيد الفصح، وذلك لتذكيرهم بأن الله هو الذي فداهم في الماضي، هو ممسك كل أمور حياتهم، وهو فاديهم اليوم. ويومها أكلوا أول مرة منذ ٤٠ سنة من غلة الأرض؛ وكانوا إلى الآن، يأكلون المن الذي يرسله الله لهم في كل صباح؛ فحدثت معجزة انقطاع المن، تأكيداً من الله على أنهم منذ الآن سيأكلون من الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً: " 12 وَأَنْقَطَعَ الْمَنْ فِي الْغَدِ عِنْدَ أَكْلِهِمْ مِنْ غَلَّةِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ. فَأَكَلُوا مِنْ مَحْصُولِ أَرْضِ كَنْعَانَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ. " (اقرأ كل الفقرة، يشوع ٥ : ٩-١٢). وكل قضية تعييد عيد الفصح، الذي فيه فدى الله شعبه بدم خروف الفصح، أتى كإشارة نبوية إلى خلاص البشرية بدم المسيح.

٧- الله هو القائد، وهو يدعي الشعب للانضمام إليه:

قبل دخول الشعب إلى الأرض، نرى أيضاً لقاء هاماً معجزياً بين يشوع وقائد ملائكة الله (رئيس جند الرب)؛ فعندما ظهر ليشوع بهيئة رجل سأله يشوع (يشوع ٥ : ١٣-١٥):

" ١٣... هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لِأَعْدَائِنَا؟ " فأجابه رئيس جيش الرب قائلاً: " 14... كَلَّا، بَلْ أَنَا رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ. " يشوع 5.
(بحسب الترجمة العربية المبسطة) " لست منكم ولا من أعدائكم، لكنني أتيت كقائد جيش الله. "

بعدها، جعل يشوع أن يخلع حذائه، ليدرك أن الله بالحقيقة على تلك العملية؛

وهو حاضر في المكان؛ وهو ليس مع شعب الرب، أو مع أعدائهم. بل هو الله، وهو يدعو أن يسير شعبه معه، وإلا فسيخسر حضوره معهم، وبالتالي سيخسرون كل شيء، ويصبحوا مثل باقي الشعوب. وهذا فعلا ما حدث، فابتعد بنو إسرائيل عن الله، فأسلمهم للنهب والعبودية والهزيمة والذل، على يد أعدائهم؛ كما سنرى فيها بعد.

٨- الله الذي يعطي التعليمات فيما يخص ماذا يفعلوا في المعارك:

خاصة في أول معركة، وهي دخول الشعب إلى أريحا (يشوع ٦)، الله هو الذي أسقط الأسوار بمعجزة إلهية؛ وأعطاهم المدينة، يشوع ٦: ١٦. ونرى هذا الشعار بشكل مستمر على كل مراحل دخول شعب إسرائيل لأرض كنعان. أيضا هناك تشديد بأن أوامر يشوع هي نفس أوامر الله (مثل يشوع ٨: ٨).

إذا رأينا كيف أن دخول شعب إسرائيل إلى أرض كنعان يختلف عن جميع الحروب التي خاضها البشر في سبيل الله على مر العصور، والتي تُمتحن أمام ثلاثة أسئلة مصيرية:

ما هو دور الله الحقيقي التفصيلي فيها؟
ما الذي يبرهن أن الله وراء تلك الفتوحات فعلا؟
ما هي ردة فعل الله لقادة شعبه حينما يُخطئون؟

فتسقط جميع تلك الحروب بامتحان هذه الأسئلة، وتتواجه مع الحقيقة؛ وهي أنها تدعي أن حروبها هي من الله، والله طبعاً بريء منها تماماً. فالله مع دخول شعب إسرائيل لأرض كنعان، أبرز قيادته لشعبه بالمعجزات العظيمة، أمام شعبه وأمام جميع الشعوب؛ التي، كما يقول الكتاب، ذاب قلبها من إله إبراهيم عندما سمعت عنها. وهذا ما أكدته واحاب للجواسيس، حيث قالت:

" 9 وَقَالَتْ: «عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَعْطَاكُمْ الْأَرْضَ، وَأَنَّ رُعْبَكُمْ قَدْ وَقَعَ عَلَيْنَا، وَأَنَّ جَمِيعَ سَكَّانِ الْأَرْضِ ذَابُوا مِنْ أَجْلِكُمْ. 10 لِأَنَّنا قَدْ سَمِعْنَا كَيْفَ يَبْسُ الرَّبُّ مِيَاهَ بَحْرٍ سَوْفَ قَدَّامَكُمْ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، وَمَا عَمَلْتُمُوهُ بِمَلِكِي الْأُمُورِيِّينَ الَّذِينَ فِي عَبْرِ الْأَرْدُنِّ: سِيحُونَ وَعُوجَ الَّذِينَ حَرَمْتُمُوهُمَا. 11 سَمِعْنَا قَدَّابَتْ قُلُوبِنَا وَلَمْ تَبْقَ بَعْدُ رُوحٌ فِي إِنْسَانٍ بِسَبَبِكُمْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ هُوَ اللَّهُ

فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى الْأَرْضِ مِنْ تَحْتُ. " يشوع ٢. فعمل الله المعجزي هو الذي شهد عن مجده، وليس انتصار شعبه في الفتوحات؛ حيث تلك الانتصارات ممكن أن ينجح فيها أي جيش؛ أما شق بحر سوف، فعرف الجميع من خلاله أن الرب مع شعبه؛ وهو سيد الأرض كلها، خالق السموات والأرض. ورأينا كيف كان الله مشتركًا في كل كبيرة وصغيرة في هذه العملية بنفسه؛ مبرزًا نزاهته وعدالته وموازينه المتساوية في القضاء، ما بين شعوب كنعان وشعبه:

" لأنهم ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك لأنك رضيت عنهم. " مزمور ٤٤: ٣.
أما من جهة أهمية رضى الله عن الشعب، كما تقول الآية، فهذا يقودنا إلى النقطة الثانية. وهي كيف كان الله يُكلم ويحاسب الشعب مباشرةً إذا أخطأوا؛ وسيكون هذا عنوان الفصل القادم.

الفصل الثالث

محاسبة الله لشعبه

في هذا المقال سنتناول الميزة الفريدة الثانية لدخول شعب إسرائيل لأرض كنعان، وهي أن الله لم ينصر شعبه ظالمًا أو مظلومًا، لكن سنرى عدالة الله ومحاسبته وعقابه لشعبه عندما كان يُخطئ، وهذا لم ولن نراه في أي حرب شنت باسم الله على مرّ العصور.

كما تعلمنا في المقال السابق، إنَّ أعظم الأمور التي تميز دخول شعب إسرائيل إلى أرض كنعان عن جميع الحروب التي شنت باسم الله على مرّ العصور، هي أولاً إظهار الوحي المستمر، مستعرضًا المعجزات التي عملها الله أمام الشعب كله وأمام باقي الشعوب، أن الله هو المتحكم بنفسه بكل صغيرة وكبيرة في هذه العملية.

وفي هذا الفصل سنتناول النقطة الثانية التي تميّز فتح شعب إسرائيل لأرض

كنعان، وهي محاسبة الله المباشرة لشعبه، عندما كان يخطئ.

الله يحاسب الشعب مباشرة إذا أخطأوا:

إن المشكلة التي تعترضنا على فكرة استخدام الله لشعبه لإجراء القضاء، هي أن شعب الله، كما يبدو لنا من النصوص، ليس أفضل بكثير من الشعوب التي في كنعان، فكيف ممكن أن نتقبل هذه الفكرة؟

تَقْبَلُ هذه الفكرة يكمن في ملاحظة تشديد الله المستمر على قداسة شعبه قبل وخلال وبعد هذه العملية؛ وتركيز الوحي المستمر على الله الذي يحاسب ويدين شعبه إذا أخطأوا، خلال وبعد هذه العملية.

فقبل عملية الدخول أتت دعوة الله للشعب بأن يتقدسوا لكي يستخدمهم الله ويصنع أمامهم عجائب، يشوع ٣: ٥. لكن بعد أول عملية، وهي دخول أريحا، خالف أحد أفراد الشعب وصية الله. فأخذ عخان جزء من الأملاك وخبأها في خيمته، وكنتيجة لهذا، انكسر الجيش أمام مدينة عاي الصغيرة، وقتل في المعركة ٣٦ رجل (يشوع ٧: ٥). وعندما صلى يشوع لطلب إرشاد الله لماذا انكسروا أمام أهل عاي، أعلن الرب ليشوع بأن الشعب نقد عهده أخذوا من الأشياء التي منعهم من أخذها؛ حيث سرقوا وكذبوا (٧: ١١)؛ بعدها يقول لنا الوحي كلمة هامة جداً:

" ١٢ فَلَمْ يَتَمَكَّنْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِلنُّبُوتِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ. يُدِيرُونَ قَفَاهُمْ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ لِأَنَّهُمْ مَحْرُومُونَ، وَلَا أَعُودُ أَكُونُ مَعَكُمْ إِنْ لَمْ تُبِيدُوا الْحَرَامَ مِنْ وَسْطِكُمْ." يشوع ٧.

وهذه الآية تعني أن الله مستعد أن يستخدم الشعب، فقط طالما الشعب سائر معه؛ لأن رئيس جند الرب قال ليشوع، أنا لست لكم ولا لأعدائكم؛ بل أنا رئيس جند الرب (يشوع ٥: ١٤).

كالشرطي مثلاً، ممكن أن يحاسبك ويخالفك، فمخالفته لك لا تعني أنه أفضل منك، لكن تعني أن لديه سلطان عليك طالما هو سائر تماماً تحت القانون. أما

في اللحظة التي فيها يجنح عن القانون، سيفقد سلطانه، وربما وظيفته. هذا ما حدث مع شعب الرب، لكن مع إله ليس مثل القانون ربما يمسكه مخالفاً، أو ربما يَغْفِلُ عنه؛ وبالطبع لا يعرف خفايا نفسه وقلبه. لكن مع إله كلي المعرفة والسلطان، ويعرف كل شيء، ولا يمكن إخفاء أي شيء عنه؛ وسوف لا يسكت أمام أخطاء الشعب أبداً، كما سنرى، لأنه إله قدوس وعادل.

وأما عخان الذي خالف أمر الرب، فأخذه هو وأولاده وبناته وجميع حيواناته ورجموهم في وادي عخور، وأقاموا كومة حجارة هناك إلى هذا اليوم (يشوع ٧: ٢٢-٢٦). ربما نتساءل: لماذا يظهر لنا قضاء الرب قاسي لهذه الدرجة أحياناً؟ وما هو ذنب الأولاد؟ سوف لا نجيب على هذا السؤال في هذا الفصل، لكن في هذه المرحلة علينا أن نعرف أن ذراع الرب كانت قاسية ليس فقط على الكنعانيين، بل على شعبه أيضاً عندما كان يُخطئ؛ لأن إلهنا عادل، ليست عنده محاباة ولا موازين مزدوجة.

لم يرتكب الشعب خطايا بارزة أخرى طوال عهد يشوع؛ لكن كما نرى من النصوص، لم يطع الشعب أوامر الرب فيما يتعلق بقطع عهد مع سكان الأرض الوثنيين. عندها ظهر ملاك الرب للشعب وكلم جميع الشعب معاً بهذه الكلمات:

" ١ وَصَعِدَ مَلَائِكُ الرَّبِّ مِنَ الْجِجَالِ إِلَى بُوكِيمَ وَقَالَ: «قَدْ أَصْعَدْتُكُمْ مِنْ مِصْرَ وَأَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمْتُ لِأَبَائِكُمْ، وَقُلْتُ: لَا أَنْكُثُ عَهْدِي مَعَكُمْ لِي الْأَبَدِ. 2 وَأَنْتُمْ فَلَا تَقْطَعُوا عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ هَذِهِ الْأَرْضِ. اهْدِمُوا مَذَابِحَهُمْ. وَلَمْ تَسْمَعُوا لِصَوْتِي. فَمَاذَا عَمِلْتُمْ؟ 3 فَقُلْتُ أَيْضاً: لَا أُطْرِدُهُمْ مِنْ أَمَاكُمْ بَلْ يَكُونُونَ لَكُمْ مُضَايِقِينَ، وَتَكُونُ إِلَهُهُمْ لَكُمْ شُرَكَاءَ». 4 وَكَانَ لَمَّا تَكَلَّمَ مَلَائِكُ الرَّبِّ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ الشَّعْبَ رَفَعُوا صَوْتَهُمْ وَبَكُوا. 5 فَدَعَا اسْمَ ذَلِكَ الْمَكَانِ «بُوكِيمَ». وَدَبَحُوا هُنَاكَ لِلرَّبِّ. " قضاة ٢.

دعونا نتخيل هذا الحدث العظيم، إن يظهر ملاك الرب لجميع الشعب ويكلمهم معاً بكلمات مصيرية تبرز قضاء الله ومشيبته. لكي لا يستطيع أن يأتي نبي يدعي أن الله أمره أن يقاتل غير المؤمنين، دون أي دليل واضح للناس وللبنية. أما إله إبراهيم الحقيقي في الوحي الإلهي، رأينا كيف أنه بعدما أكد

دوره ومشيبته بصنع المعجزات أمام جميع الشعوب حيث شق مياه نهر الأردن قبل إرسال الشعب ليدخلوا الأرض (يشوع ٣: ١٥-١٦). اليوم يرسل الله ملاكه ويكلم جميع الشعب معاً بكلمة الله الموبخة. بأن الله عدل عن خطته الأولى لطرد الشعوب من أرض كنعان، وأمر بخطة بديلة، ليست بحسب مشيبته، بأنه سوف لا يطرد الشعوب من الأرض؛ وسيكونون لهم دائماً مصدر ضيق وإغواء؛ وذلك لأن الشعب لم يُطع أوامره. مما يبين أن الله يريد شعب نقي دون أي مساومة، وأيضاً يبين بأن طرد الشعوب من أرض كنعان هو ليس هدف بحد ذاته، لكن ولادة شعب مقدس على أرض لا يسكنها إلا عابدو إله إبراهيم، ليكونوا شهادة وبركة لكل الأمم فيما بعد. وفعلاً منذ ذلك الوقت إلى هذا اليوم، وباقي الشعوب موجودة في أرض كنعان؛ ولم ولن تخرج من هذه الأرض أبداً إلى مجيء الرب.

كما يبدو كانت هناك بعض الرواسب لعبادات الأوثان في الشعب، فيدعوهم يشوع لتجديد عهدهم مع الرب قبيل موته (يشوع 24). وفعلاً استجاب الشعب لدعوة يشوع وتعهدوا بأن يتبعوا الله الذي أخرجهم من أرض مصر (١٥-١٦): " ٢٢ فقال يشوع للشعب، أنتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه، فقالوا نحن شهود." يشوع ٢٤.

لكن بعد موت يشوع يقول الكتاب أنه قام جيل لم يعرف الرب ولا أعماله التي عملها مع شعبه (قضاة ٢: ١٠)؛ فكانت النتيجة أن الله جعلهم عرضة للنهب، والسقوط أمام أعدائهم:

" 11 وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَي الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ، 12 وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمُ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَسَارُوا وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى مِنْ إِلَهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. 13 تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ. 14 فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ. 15 حَيْثُمَا خَرَجُوا كَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ لِلشَّرِّ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ وَكَمَا أَقْسَمَ الرَّبُّ لَهُمْ." قضاة ٢.

وبعد انكسار الشعب أمام الشعوب الأخرى، كان الشعب يصرخ إلى الرب،

فيقيم الرب للشعب قاضياً ليخلصهم لكي يرجعوا إلى الله ويتوبوا، لكن بلا جدوى. لذلك عاد الله وأكد على استبقاء شعوب أرض كنعان في الأرض:

" 19 وَعِنْدَ مَوْتِ الْقَاضِيِ كَانُوا يَرْجِعُونَ وَيَفْسُدُونَ أَكْثَرَ مِنْ آبَائِهِمْ بِالذَّهَابِ وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدُوهَا وَيَسْجُدُوا لَهَا. لَمْ يَكْفُوا عَنْ أفعالِهِمْ وَطَرِيقِهِمُ الْقَاسِيَةَ. 20 فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَقَالَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ هَذَا الشَّعْبَ قَدْ تَعَدُّوا عَهْدِي الَّذِي أَوْصَيْتُ بِهِ آبَاءَهُمْ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِي 21 فَأَنَا أَيْضًا لَا أَعُودُ أَطْرُدُ إِنْسَانًا مِنْ أَمَامِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ يَشُوعُ عِنْدَ مَوْتِهِ.» قضاة .٢

ومنذ ذلك الوقت، بشكل عام، أصبحت باقي حروب إسرائيل بمثابة دفاع عن النفس، وليست حروب بمبادرة من الله كما على وقت يشوع.

إن هذه الحقائق المباركة تبرز أمام جميع الأجيال القادمة أن شعب إسرائيل لم يفتح أراضي لشعوب أخرى على هواه، لكن كان ينقاد بحسب خطة الله العادل، الذي يحاسبه على كل كبيرة وصغيرة إذا أخطأ بها. إن هذا بالحقيقة نظاماً يحكم بالشرعية الإلهية (نظاماً ثيوقراطياً)، ويفضح بوضوح أي نظاماً كاذباً يدّعي بأنه يحكم بشرعية الله. لأننا لم نرى أي نظام آخر ثيوقراطياً يظهر الله فيه بوضوح، بعجائبه أمام جميع الشعب، رسالته الواضحة العادلة، خاصة في قضية حساسة ومصيرية كهذه يتعلق بها مصير شعوب. أيضاً نرى فيه بوضوح مُحاسبة الله للشعب، على كل صغيرة وكبيرة، إذا أخطأ. إنه فعلاً إله مجيد وعظيم يستحق كل إكرام وتمجيد، يُظهر بوحيه بوضوح: الحق من الباطل، النور من الظلمة، الحقيقي من المزيف. لكن هل من سامع فاهم الله؟؟ يا رب، من له أذان للسمع فليسمع.

الفصل الرابع صور صعبة ودماء

عندما نقرأ عن دخول شعب إسرائيل إلى أرض كنعان، نقف أمام صور صعبة ومفاجئة؛ وهي قتل أناس أبرياء، مثل النساء والأطفال. فما هو السبب لسماح الله لهذا؟ ولماذا لم يعترض الله على هذا؟

لكي نفهم هذه الصور الصعبة، نحتاج أن نفهم الكثير من الأمور الهامة:

١- الله بيده أرواح البشر وليس كالإنسان:

إن أكثر الأخطاء الشائعة التي نقع فيها في نظرتنا إلى عدالة الله، هي اعتبار أن الله هو إنسان مثلنا وما يجري عليه يجري علينا. وهذا المنطق كأنه يقول: "بما أنها جريمة للإنسان أن يقتل البشر، إذا فهي جريمة لله بأن يأخذ حياة البشر!!" هل هذا المنطق سليم؟

وفيه نحكم على عدالة الله، بناءً على مفاهيمنا ومعاييرنا البشرية للعدالة؛ بدلاً من أن يكون الله هو المقياس للعدالة.

إن الله ليس كالإنسان الذين لا يمتلكون حياتهم أو حياة غيرهم، فالله يمتلك تمامًا حياة البشر وهي وديعة أعطاها لهم، ومن حقة أن يأخذها متى يشاء؛ كما تقول الكلمة في أيوب ١٢: " ١١ الذي بيده نفس كل حيّ وروح كل البشر."

فوديعة الحياة التي يهبها الله للإنسان هي تشبه إنسان له مبلغ من المال، وأودعه عند صديق، وبعدما رجع ليأخذ تلك الوديعة، غضب ذلك الصديق جدًا، لأن صاحب الوديعة جاء لكي يأخذها؛ هل هذا منطق سليم؟

إن الله وهو معطي الحياة، ويحق له بأن يأخذ حياة البشر كما يشاء، سواء كانوا صغارًا أم كبارًا. لكننا نعلم أن الله صالح، ومهما يعمل، فهو يعمل بهدف خلاص جميع البشر (ومن جهة برهان أن الله الذي كان وراء كل ما حدث، وليس مجرد ادعاء ليشوع، راجع الفصل الثاني، بعنوان: "الله على رأس العملية").

٢- الله أراد أن يحافظ على أرواح الأبرياء:

يؤمن الكثير من اللاهوتيين (من أمثال: نورمان غايسلر واثوماس هو) i ، أن حياة الأطفال في العهد القديم محفوظة من الهلاك، ككونهم غير راشدين للاختيار. استنبطوا هذا الاستنتاج مما قاله داود بعدما صام طالبًا من الله أن لا يميت ابنه، لكن الله سمح بأن يموت ابنه الأول الذي وُلد من بتشبع؛ فقال: " ٢٣ ... هل أقدر أن أردّه بعد؟ أنا ذاهب إليه وأمّا هو فلا يرجع إليّ." ٢ صموئيل ١٢.

إذا اعتبرنا أن داود من شعب الرب الصالحين وله حياة ابدية؛ وفي نفس الوقت يقول بأنه سيذهب إلى الطفل، هذا يعني بأن حياة الطفل محفوظة في يد الله. أي أن الله عندما يسمح بأن يموت أناس أبرياء أو أطفال في عمر صغير، فذلك لكي يحفظهم من الهلاك الحتمي، بعدما ينشأوا في حضارة فاسدة كزمن الطوفان؛ أو كسدم وعمورة؛ أو كجميع الأبقار في مصر، المفترض أن يكون الكثير منهم أطفالاً. فيعتبر الأطفال كأنهم ماتوا على رجاء المسيح؛ إلى أن يزورهم المسيح، ويكرز لهم في أيامه التي قضاها في القبر ليخلصوا (راجع أفسس ٤: ٩ و ١ بطرس ٣: ١٩-٢٠ و ٤: ٦). لذلك بعدما تمّ المسيح الفداء والعهد الجديد، قد أنهى الله تيار القتل والدماء؛ وأحل السلام ليملك على شعبه، لكي يصبح شعبه صانعًا سلامًا وليس حربًا.

٣- الله يستخدم نفس المعايير لشعبه كما لباقي الشعوب:

إن ما جعلنا نثق بالهنا، إله إبراهيم الحقيقي، هو أنه لا يستخدم معايير مزدوجة لشعبه وباقي الشعوب. فعندما تمردت جماعة من الشعب على موسى: قورح بن يصهار بين قهات بن لاوي وداثان وأبيرام وألياب وأون بن فالت من بني رأوبين، مع مئة وخمسين رجلاً (سفر العدد ١٦). جعل الله الأرض تنشق وتبتلعهم مع عائلاتهم وكل ما كان لهم (مما يفترض موت أطفال معهم أيضًا (٣١-٣٣).

وأيضًا عندما خالف عاخان أمر الرب، وأخذ من الغنائم التي حرمها الرب؛ نفذ فيه يشوع قضاءً صعبًا، بنفس المعيار الذي أنزل على سكان أريحا:

" 24 فَأَخَذَ يَشُوعُ عَخَانَ بْنِ زَارِحَ وَالْفِضَّةَ وَالرِّدَاءَ وَالسَّانَ الدَّهَبَ وَبَنِيهِ وَبَنَاتِهِ وَبَقْرَهُ وَحَمِيرَهُ وَغَنَمَهُ وَخَيْمَتَهُ وَكُلَّ مَا لَهُ... 25 ... فَرَجَمَهُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ بِالْحِجَارَةِ وَأَحْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ وَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ. " يشوع ٧.

وأيضاً قد حكم شعب إسرائيل على قبيلة يابيش جلعاد، وهي من شعب إسرائيل؛ وذلك بسبب عدم توحدهم مع شعب إسرائيل ضد الرجاسة التي ارتكبت في جبعة بنيامين، وقتلوا جميع سكانها مع النساء والصغار (يشوع ٢١: ١٠).

وأيضاً إله إبراهيم القدوس العادل قد حذر شعبه من جميع هذا على يد موسى؛ بأنهم إذا تمردوا عليه ولم يطيعوا وصاياه، سوف يسلمهم إلى أمم أخرى ليتسلطوا عليهم، كما أسلم الأمم ليدهم، ويروا موت أبنائهم بأبشع ميتة.

" 47 مِنْ أَجْلِ أَنْكَ لَمْ تَعْبُدِ الرَّبَّ إِلَهَكَ يَفْرَحُ وَبَطِيْبَةَ قَلْبٍ لِكثْرَةِ كُلِّ شَيْءٍ. 48 تُسْتَعْبَدُ لِأَعْدَائِكَ الَّذِينَ يُرْسِلُهُمُ الرَّبُّ عَلَيْكَ فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ وَعُرْيٍ وَعَوْرٍ كُلِّ شَيْءٍ. فَيَجْعَلُ نِيرَ حَدِيدٍ عَلَى عُنُقِكَ حَتَّى يَهْلِكَ... 53 فَتَأْكُلُ ثَمْرَةَ بَطْنِكَ لِحَمِّ بَنِيكَ وَبَنَاتِكَ (ترى أولادك يموتون أمام عينيك بأبشع ميتة... " (تثنية ٢٨، راجع أيضاً تثنية ٣٢: ٢٥ و حزقيال ٥: ١٠ و ٢ مولك ٦: ٢٨-٢٩).

أيضاً نرى تتميم تلك الدينونة على فم النبي حزقيال:

" 5 وَقَالَ لِأَوْلَائِكَ فِي سَمْعِي: [اعْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَرَاءَهُ وَاضْرِبُوا. لَا تُشْفِقُوا أَعْيُنَكُمْ وَلَا تَعْفُوا. 6 الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَدْرَاءَ وَالطُّفْلَ وَالنِّسَاءَ. اقْتُلُوا لِلْهَلَاكِ. وَلَا تَقْرَبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السَّمَّةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْسِي]. فَأَبْتَدَأُوا بِالرِّجَالِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ أَمَامَ الْبَيْتِ. 7 وَقَالَ لَهُمْ: [نَجِسُوا الْبَيْتَ، وَامْلَأُوا الدُّورَ قَتْلَى. اخْرَجُوا]. فَخَرَجُوا وَقَتَّلُوا فِي الْمَدِينَةِ. " حزقيال ٩.

لقد رأينا هذا يحدث فعلاً في نصوص كثيرة، نستعرض البعض منها في أقرب فترة زمنية لهذه الكلمات، وهي من سفر القضاة:

فَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، فَحَمِي غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَبَاعَهُمْ بِيَدِ كُوشَانَ رَشَعَتَايِمَ مَلِكِ أَرَامَ النَّهْرَيْنِ لِمُدَّةِ ثَمَانِي سَنِينَ (القضاة ٣: ٧-٧).

٨). وزاغ أيضاً إسرائيل عن طريق الرب، فشدد الرب عجلون ملك موآب، مع الأموريين وعماليق، عليهم وحكموهم لمدة ثماني عشرة سنة (القضاة ٣: ١٢-١٤). وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فأسقطهم الرب بيد يابين ملك كنعان لمدة عشرين سنة، فاستنجد بنو إسرائيل بالرب، فأرسل لهم الرب النبية والقاضية دبورة (القضاة ٤). وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ مِذْيَانَ سَبْعَ سِنِينَ. (القضاة ٦). فأرسل لهم جدعون. وتكرر نفس التمرد من بني إسرائيل مراراً وتكراراً، فسلمهم ليد الفلسطينيين والعمونيين لمدة ثماني عشر سنة (يشوع ١٠: ٦-٩)؛ كذلك أخضعهم لسيطرة الفلسطينيين لمدة أربعين سنة (القضاة ١٣: ١).

وبعد هذا أجرى الله قضاءً على بني بنيامين بسبب الرجاسة التي ارتكبوها باختصاب أحد نساء بني لاوي. فحرك الرب بني إسرائيل لتأديبهم فقتل في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف وستمائة رجل (القضاة ٢٠)؛ وكان كنتيجة لهذا، أن قبيلة بنيامين بأكملها تقريباً قطعت من إسرائيل (القضاة ٢١: ٦-٧)؛ وانتهى سفر القضاة بتلك المأساة الكبرى.

ربما يقول قائلين من ديانات أخرى: "ونحن أيضاً تمر شعوبنا في حالة تسلط شعوب أخرى عليهم وألم لأنهم بعيدين عن الدين أو عن الله."

إن هذا التوجه مختلف تماماً عما نراه في تلك النصوص، إن الشعب أسلم إلى تسلط الشعوب الأخرى، مع وجود رسالة نبوية إليه، يفسر فيها الله للشعب لماذا حدث ما حدث. ليس كالديانات الأخرى، التي يتركهم إلههم الصامت حائرين؛ دون أي إعلان إلهي أو نبوي، يقول لهم لماذا حدث ما حدث، وماذا يريد منهم أن يفعلوا. فنرى في كل فترة العهد القديم حواراً مستمراً بين الله والشعب، مما يبرهن بالحقيقة أن الله يحكم على شعبه بالشريعة الإلهية؛ على سبيل المثال، في قضاة ١٠:

" 10 فَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ: «أَخْطَلْنَا إِلَيْكَ لِأَنَّنا تَرَكْنَا إلهَنَا وَعَبَدْنَا الْبَعْلِيمَ». 11 فَقَالَ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «أَلَيْسَ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَبَنِي عَمُّونَ وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ خَلَّصْتُمْ؟» 12 وَالصَّيْدُونِيِّينَ وَالْعَمَالِقَةَ وَالْمَعُونِيِّينَ قَدْ ضَايَفُوكُمْ فَصَرَخْتُمْ إِلَيَّ فَخَلَّصْتُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ؟ 13 وَأَنْتُمْ قَدْ تَرَكْتُمُونِي وَعَبَدْتُمْ إِلَهَةً أُخْرَى. لِذَلِكَ لَا أَعُودُ أَخْلَصُكُمْ. 14 اِمضُوا وَاصْرُخُوا إِلَى الْإِلَهَةِ

الَّتِي اخْتَرْتُمُوهَا. لِتُخَلِّصَكُمْ هِيَ فِي زَمَانٍ ضَيْقِكُمْ». 15 فَقَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ
لِلرَّبِّ: «أَخْطَلْنَا فَاغْلِبْنَا بِنَا كُلِّ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ. إِنَّمَا أَنْقَذْنَا هَذَا الْيَوْمَ». 16
وَأَزَالُوا الْآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ مِنْ وَسْطِهِمْ وَعَبَدُوا الرَّبَّ، فَضَاقَتْ نَفْسُهُ (أي نفس
الرب) بِسَبَبِ مَشَقَّةِ إِسْرَائِيلَ."

ما أعظم إلهنا المبارك الحي الشخصي، نرى في هذه النصوص، ونصوص
أخرى كثيرة، حواراً مستمراً ما بين الله والإنسان. حقاً أنها شريعة إلهية؛ دور
الله وصوته المستمر، واضح فيها. من خلاله يفسر الله للإنسان خطاه، ويفتح له
المجال للتوبة لكي يرحمه بالحق. لأنه إله مُحب ورحيم، لكنه إله حق وعدل
أيضاً؛ لذلك يدير الحق بالرحمة والمحبة.

الفصل الخامس يختلف عن أي فتح ديني آخر

سننهي هذه الكتيب بتقديم تلخيصاً عاماً لبعض الاختلافات الصارخة، ما بين
دخول شعب إسرائيل لأرض كنعان، وأي فتح ديني آخر عرفه التاريخ على مر
العصور.

كما رأينا في المقالات السابقة، عادة معظم النقاد ليست عندهم أي مشكلة مع الله
الذي أنزل قضاءً على الأرض بالطوفان، أو على سدوم وعمورة، أو على
مصر. لكن الصعوبة كما قلنا، في عملية دخول شعب إسرائيل لأرض كنعان،
كانت أنه استخدم شعبه لإجراء ذلك القضاء. مما يقود البعض منهم لتشريع
فتوحات دينية أخرى حدثت، بأن الله كان وراءها؛ وهذا يقودنا إلي الاختلاف
الأول:

١- الله هو العامل وليس الشعب:

كما قلنا في الفصل الثاني، إن دخول شعب إسرائيل للأرض يختلف عن باقي الفتوحات الدينية، من حيث أن الله يُظهر أنه على رأس تلك العملية بطريقة لا تقبل الشك، وذلك عن طريق معجزات كبيرة وهائلة، ليست أمام شعبه فقط، بل أمام باقي شعوب الأرض أيضاً. نرى ذلك مثلاً في قول راحاب للجاسوسين:

" ٩ وَقَالَتْ: «عَلِمْتُ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَعْطَاكُمْ الْأَرْضَ، وَأَنَّ رُعْبَكُمْ قَدْ وَقَعَ عَلَيْنَا، وَأَنَّ جَمِيعَ سُكَّانِ الْأَرْضِ ذَابُوا مِنْ أَجْلِكُمْ، 10 لِأَنَّنا قَدْ سَمِعْنَا كَيْفَ يَبْسُ الرَّبُّ مِيَاهَ بَحْرِ سُوفَ قُدَّامَكُمْ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ...» يشوع ٢.

وأيضاً قبيل دخول الأرض قد شق الرب مياه نهر الأردن ليعيد المعجزة ويؤكد لباقي الشعوب أنه هو المبادر في تلك العملية (يشوع ٤: ١٠-١٣)؛ وعجيبه إيقاف الشمس، استجابة لصلاة يشوع (يشوع ١٠: ١٢-١٤). وحتى عندما قرر الله أن يوقف عملية طرد باقي الشعوب من الأرض، بسبب عدم استجابة الشعب لوصايا الله. قد بين الله هذا أيضاً بصورة لا تقبل الشك، حيث ظهر ملاك الرب لجميع الشعب وكلمهم جميعاً بأنهم لم يسمعوا وصاياهم، لذلك لن يطرد شعوب الأرض من أمامهم بعد، وسيكونوا معهم على الأرض كل الأيام مضايقين (قضاة ٢: ١-٥).

٢- التأكيد للشعب أن الله اختار القائد:

وهذه النقطة مرتبطة بالأولى وهي أن الله عمل معجزات على يد القائد لكي يؤكد للشعب أنه مختارٌ من الله وليس بادعائه الخاص. فلم يأتي يشوع بادعاء أن الله امره أن يقاتل الكافرين، دون أي معجزة أو دليل على هذا؛ أمام شعبه وأمام باقي الشعوب أيضاً (راجع تعريف المعجزة في الفصل الثاني).

٣- الله تعامل مع شعبه بنفس المعايير:

لقد رأينا كيف أن الله عادل، ولم يتعامل مع الشعوب الأخرى بمعايير مزدوجة، بل بمعايير متناسبة لإله عادل قدوس. رأينا كيف أنزل الله قضاؤه لشعبه عندما

أخطأ، كما أنزله على شعوب كنعان (راجع الفصول الأول والثالث). وأيضاً حذر الله شعبه، بأنه هو أيضاً سيُطرد من الأرض إذا أخطأ (تثنية ٢٨: ١٥-٦٨؛ خاصة آآ ٢٤-٢٥ و ٦٣-٦٤ وأيضاً تثنية ٣٠: ١٧-١٨).

٤- لم تكن دعوة لفتح أراضي في سبيل الله، دون روابط أو حدود:

لقد دعى الله الشعب ليدخوا أرض مُحدّدة، حددها لهم بدقة. والهدف كان دينونة تلك الشعوب، وولادة شعب الرب ليكونوا شعب مقدس وبركة لباقي الشعوب. فلم يدعهم الله لفتح بلدان بلا حدود، وكأنه ناصرهم على الحق والباطل. إن هذا واضح من النصوص، على سبيل المثال:

" ٤ وَأَوْصِ الشَّعْبَ قَائِلًا: أَنْتُمْ مَارُونَ بِنُحْمِ إِخْوَتِكُمْ بَنِي عَيْسُو السَّاكِنِينَ فِي سَعِيرَ فَيَخَافُونَ مِنْكُمْ. فَاحْتَرِزُوا جِدًّا. 5 لَا تَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ. لِأَنِّي لَا أُعْطِيكُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَلَا وَطْأَةً قَدَمٍ لِأَنِّي لِعَيْسُو قَدْ أُعْطِيتُ جَبَلَ سَعِيرَ مِيرَاثًا. " تثنية ٢.

كذلك دعاهم أن لا يزعموا شعب موآب لأنه لم يعطيكم أرضهم وأيضاً العمونيين:

" 9 «فَقَالَ لِي الرَّبُّ: لَا تُعَادِ مُوآبَ وَلَا تُثِرْ عَلَيْهِمْ حَرْبًا لِأَنِّي لَا أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِهِمْ مِيرَاثًا. لِأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أُعْطِيتُ «عَارَ» مِيرَاثًا... 16 «فَعِنْدَمَا فَنِي جَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ بِالمَوْتِ مِنْ وَسْطِ الشَّعْبِ 17 قَالَ لِي الرَّبُّ: 18 أَنْتَ مَارَ الْيَوْمَ بِنُحْمِ مُوآبَ بَعَارَ. 19 فَمَتَى قَرَبْتِ إِلَى ثُجَاهِ بَنِي عَمُّونَ لَا تُعَادِهِمْ وَلَا تَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ لِأَنِّي لَا أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ مِيرَاثًا لِأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أُعْطِيتُهَا مِيرَاثًا. " تثنية ٢.

٥- المبدأ عام، واستخدمه الله مع باقي الشعوب:

إن مبدأ استبدال الله لشعب من أرض وإعطائها لشعب آخر، هو مبدأ استخدمه الله مع باقي الشعوب كما استخدمه الله مع شعبه تمامًا. فالله استبدل الرفائيين بالعمونيين؛ وبعدها استبدل العمونيين ببني لوط. أيضاً استبدل الحوريين ببني عيسو. ولكي لا يظن القارئ أن الله كأنه "غاوز" مع بني لوط وعيسو؛ لأنهم ذوو قرابة لإبراهيم، قال أيضاً بعدها أنه استبدل العويين بالكفتوريين (أي بالفلسطينيين، إرميا ٤٧: ٤ وعاموس ٩: ٧؛ وهم كانوا أعداء لشعب الرب):

" 19 فَمَتَى قَرُبْتَ إِلَى ثَجَاهِ بَنِي عَمُّونَ لَا تُعَادِهِمْ وَلَا تَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ لِأَنِّي لَا أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ مِيرَاثًا لِأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أُعْطِيْتُهَا مِيرَاثًا. 20 (هِيَ أَيْضًا تُحْسَبُ أَرْضَ رَفَائِيَّيْنَ. سَكَنَ الرِّفَائِيُّونَ فِيهَا قَبْلًا لَكِنَّ الْعَمُّونِيِّينَ يَدْعُونَهُمْ زَمْزَمِيِّينَ. 21 شَعْبٌ كَبِيرٌ وَكَثِيرٌ وَطَوِيلٌ كَالْعِنَاقِيِّينَ أَبَادَهُمُ الرَّبُّ مِنْ قُدَّامِهِمْ فَطَرَدُوهُمْ وَسَكَنُوا مَكَانَهُمْ. 22 كَمَا فَعَلَ لِبَنِي عَيْسُو السَّاكِنِينَ فِي سَعِيرَ الَّذِينَ أَثْلَفَ الْحُورِيِّينَ مِنْ قُدَّامِهِمْ فَطَرَدُوهُمْ وَسَكَنُوا مَكَانَهُمْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. 23 وَالْعَوِيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي الْفُرَى إِلَى غَزَّةَ أَبَادَهُمُ الْكَفُّورِيُّونَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ كَفُّورَ وَسَكَنُوا مَكَانَهُمْ). " تثنية ٢.

والمهم في الأمر هو أن الله أعلن هذا في كلمته، أنه استخدم نفس المبدأ مع شعوب أخرى، ولم يترك الإنسان والشعوب بدون أي إعلان إلهي واضح لهم عما يحدث على الأرض، ولماذا.

٦- لم تكن دعوة الله للزنى وسبي النساء:

إن إله إبراهيم قدوس؛ لذلك نراه كل الوقت يُصِرُّ على الحفاظ على قداسة الشعب. نرى مثلاً في الحرب الأولى التي خاضها بني إسرائيل بدعوة من الله لعقاب المديانيين، فبعدما قتلوا جميع ذكورهم البالغين وسبوا نساءهم وأطفالهم وكل مالهم (العدد ٣١: ١-١٣). فعرف موسى أنهم تركوا النساء أحياء غضب لأن هؤلاء النساء الذين أغوا شعب إسرائيل ليخطئوا تابعين نصيحة بلعام. وهنا نرى كيف أن الله قدوس، ويشترط على شعبه بأن يسلك بقداسة، وإلا سيعاقبهم بالوبأ كما فعل فعلاً بعد تلك الحادثة (العدد ٣١: ١٦). وزنوا قبلها أيضاً مع بنات مؤاب، فأمات الرب من الشعب أربعة وعشرين ألفاً بالوبأ، وهو وبأ الله أنزله عليهم (العدد ٢٦: ١-٩). ونرى بعدها عندما قام أناس من سبط بنيامين، باختصاب أحد نساء بني لاوي؛ غضب الله عليهم، وحرك بني إسرائيل لتأديبهم فقتل في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف وستمائة رجل (القضاة ٢٠)؛ وكان كنتيجة لهذا، أن قبيلة بنيامين بأكملها تقريباً قطعت من إسرائيل (القضاة ٢١: ٦-٧)؛ وانتهى سفر القضاة بتلك المأساة الكبرى. إذا لم يسمح الله الطاهر القدوس للشعب بالزواج بأكثر من امرأة واحدة؛ ولم يحلل لهم أن يأخذوا من النساء ما ملكت أيماهم من سبايا الحرب؛ لكن كانت دعوته لهم دعوة قداسة وبر.

الخاتمة

أذا رأينا بواسطة جميع هذه المبادئ، التي لا تقبل التأويل ولا الجدل، أن عملية دخول شعب إسرائيل لأرض كنعان تختلف عن أي فتح ديني آخر عرفه التاريخ. فنرى بآيات ومعجزات صارخة، تأكيد الله على أنه هو الذي يقف وراء العملية؛ وهو الذي يحاسب شعبه وباقي الشعوب، بسبب الخطية. ونرى أن الله ليس مع شعبه وضد باقي الشعوب. الله هو الطرف الوحيد في المعادلة؛ ودائمًا يدعو الإنسان للانضمام إليه. نستطيع بواسطة تعاليم هذا الكتيب، أن نميز الأحداث الكثير التي حدثت على مر العصور؛ وفيها أدعى أناسٌ كثيرون أن الله أمرهم بأن يخوضوا حربًا مقدسة في سبيل الله. ورأينا الميزان الثلاثي الذي نفحص به أي حرب مقدسة؛ والتي فيه يجب أن تجيب على ثلاثة أسئلة جوهرية، بشكل وافٍ:

ما هو دور الله الحقيقي التفصيلي فيها؟
ما الذي يبرهن أن الله وراء تلك الفتوحات فعلاً؟
ما هي ردة فعل الله لقادة شعبه حينما يُخطئون؟

فلم نرى أي حرب شنت باسم الله على مر العصور استطاعت الرد الشافي على أي من تلك الأسئلة. ولم يحتوي أي فتح ديني على أيٍّ من تلك المبادئ التي أكد عليها الله في وحيه المقدس، وعرضت في هذا الكتيب؛ مما يبرهن أن تلك الحروب الأخرى، التي نُسبت لله، هي كاذبة والله بريء منها تمامًا.

أتمنى أن يستخدم الله هذا الكتيب ليظهر الحق والنور، ويبيد به الظلام.